- المدرسة الخليلية الحديثة ***New khaliliene theory*** [1] (عبد الرحمن الحاج صالح):

أولا/ المدرسة الخليلية الحديثة : مهاد نظري:

النظرية الخليلية هي نظرية في اللسانيات العربية، تحاول بعث ما أنتجه الخليل وسيبويه من بناءات نظرية في تحليل الظاهرة اللغوية لما له من قيمة علمية عظيمة لدراسة اللغة العربية اليوم، والمساهمة في تطويرها بما يصبو إليه كل واحد من أهلها. وقصدنا هنا هو بيان ما تتميز به النظرية الخليلية الحديثة من أسس وأدوات تدرس بها الكلام في بعديه البنوي والخطابي (الاستعمال أو التداول)[2].

تضم المدرسة الخليلية جماعة من الباحثين العرب تحت قيادة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الذي يعدّ أحد أبرز علمائها الذين أسسوا لها ودعوا إليها، فما فتأت هذه النظرية - منذ حوالي أربعين سنة تقريبا- تدعو معشر اللسانيين والباحثين في العالم العربي إلى قراءة التراث بمنظار علمي بعيد عن التعسف في الاستنطاق، والاعتباط في التأويل. وبفضل جهود علمائها وباحثيها عرّفت الدارسين بخصائص علوم اللسان العربي، ومضامينه النوعية انطلاقا من مقولات اللسانيات الحديثة. فأثبتت الحلقة المفقودة التي تجاهلها الغربيون عندما أرخوا للفكر اللساني البشري، والتي تتمثل في مستخلصات ثمانية قرون أو تزيد من مخاض التفكير اللغوي عند العرب لاسيما القرون الخمسة الأولى من الهجرة، التي أفرزت نظرية شمولية في الظاهرة اللغوية[3].

وتشكل النظرية الخليلية في مضمونها محاولة جديدة لقراءة التراث العربي الأصيل عموما ومآثر الخليل بن أحمد الفراهيدي خصوصا. إذْ وضح "عبد الرحمن الحاج صالح"[4] عنايته البالغة

---

[1] ورمزها الدولي المختصر هو **NKT** .

[2] محمد عثماني، لسانيات البنية ولسانيات الخطاب في النظرية الخليلية الحديثة - تكميل أم بديل- مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مج 13، ع2، ديسمبر 2017.، ص33. على الرابط:

http.www.asjp.cerist.dzendownArticle410132134520

[3] عادل بوديار: العلامة عبد الرحمن الحاج صالح من النظرية الخليلية الحديثة إلى مشروع الذخيرة اللغوية، على الرابط: **http://www.kadik.net/?p=855**

[4]- يعد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح قامة سامقة من القامات العلمية الجزائرية، درس اللغة العربية في إحدى الهياكل التعليمية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية، ثم رحل إلى مصر والتحق بكلية اللغة

بهذه النظرية التي صارت" العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية وخاصة من مركز البحوث لترقية اللغة العربية بالجزائر، من مهندسين في الحاسوبيات، وأساتذة في اللغة العربية والإنكليزية، وباحثين في أمراض الكلام"[1]، فاهتمامه بهذه النظرية يبين لنا مدى أهميتها في تطوير الفكر اللساني العربي وتوجيهه، بناء على ما يتّفق مع المفاهيم اللسانية الغربية .

سعى عبد الرحمن الحاج صالح في أبحاثه الخاصة باللغة العربية إلى محاولة إبراز الخصائص العلمية للجهود اللغوية العربية، خاصة تلك التي ميزت القرون الثلاثة الأولى، وقد اهتم كثيرا بالآراء اللغوية والآليات التحليلية التي طبقها الخليل بن أحمد الفراهيدي على اللغة العربية، والذي عده –معظم اللسانيين العرب المحدثين- عبقري زمانه، فأخذ على عاتقه مهمة التعريف بهذه الآراء وتبيان الجوانب العلمية فيها مما يؤهلها أن تقف بإزاء الأفكار اللسانية الحديثة[2].

وكان في مواقفه وآرائه مؤمنا بتميز الجهود اللغوية العربية عن نظيراتها الحديثة التي ظهرت في أوروبا وأمريكا وخاصة البنوية؛ إذ وضع النحو العربي " على أسس إبستمولوجية مغايرة

=== العربية بالجامعة الأزهرية، وقد تقلد عدة مناصب حيث عين رئيسا لقسم اللغة Bordeaux (الجامعة الفرنسية) بوردو العربية وقسم اللسانيات، ثم عين عميدا لكلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر، فقد اهتم بالدراسة العلوم اللسانية وتمثلت بحوثه العلمية في النظرية الخليلية الحديثة التي طرحها في رسالته للدكتوراه بجامعة .سنة Sorbonne 1979 السوربون. قام عبد الرحمن الحاج صالح بإنشاء معهد اللسانيات والصوتيات وكذا مركز البحوث العلمية في ميدان العلوم اللسانية، كما كان عضوا في عدة مجامع لغوية عربية . نال في سنة 2010 جائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب نظير جهوده العلمية المتميزة في تحليله للنظرية الخليلية وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة ، فقد انتخب رئيسا لمشروع الذخيرة العربية 2، توفي بتاريخ 5 مارس 2017 . ينظر: الشريف بوشحدان: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009، ع7، ص 44 .

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، "النظرية الخليلية الحديثة- مفاهيما الأساسية-، كراسات المركز (سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر)، بوزريعة، الجزائر، ع 4، 2007، ص11.

[2] ينظر: عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمن الحاج صالح- دراسة ابستمولوجية في المرجعية والمنهج- ، (دكتوراه علوم في علوم اللسان العربي)، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، 2016- 2017، ص 222.

لأسس اللسانيات البنوية، وخصوصا في المبادئ العقلية التي بنيت عليها تحليلاته. هذا وليس الاختلاف متوقفا على هذا الجانب بل هناك أيضا اختلاف آخر في النظرة إلى البحث في اللغة نفسه وتدوين الكلام من أجل التحليل"[1].

فكان لزاما – في هكذا حال- أن تحل الدراسات اللغوية العربية مكانتها التي تليق بها، وأن يعاد لها اعتبارها في حقل الدراسات اللغوية، وهذا لا يكون عملا سهلا؛ إذ يجب على الباحث الذي يتحمل هذه المسؤولية "أن يكون له علم بما جاءت به اللسانيات الحديثة بجميع مذاهبها ولا يقتصر على نظرية واحدة، وأن يكون له علم بكل ما وجهه اللسانيون الغربيون أنفسهم من انتقادات لمختلف هذه النظريات، وأن يتجرد من كل فكرة سابقة إيزاء التراث وكل قديم، ولا يسقط على هذا التراث مفاهيم اللسانيات، إنما الذي يجب أن يقوم به هو أن يتسلح بمنهجية البحث العلمي ومفاهيم الإبستمولوجية الحديثة"[2].

وكانت نتيجة البحث والتمحيص في الجهود اللغوية العربية عند الحاج صالح أن وضع نظرية لغوية نسبها إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وألبسها صبغة الحداثة، وعرفت هذه النظرية باسم "النظرية الخليلية الحديثة"[3]، وكان ذلك لأنه عني فيها أساسا بالمفاهيم النحوية التي اخترعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، والتي نصادفها في كتاب سيبويه، وكان منهجه في ذلك مقارنة هذه الأفكار العربية مع المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات الحديثة ولاسيما اللسانيات البنوية والنحو التوليدي، وذلك من أجل تحديد "الفوارق الأساسية التي تمتاز بها كل نزعة منها بما فيها

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي (بحث ألقي في ملتقى حول تطور اللسانيات في الوطن العربي، الذي نظمته اليونيسكو في الرباط من 1-11 نيسان (أفريل) 1987)، ص39.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية-، ص 12.

[3] " تجدر الإشارة أن الحاج صالح نفسه يقر أن تسمية "النظرية الخليلية الحديثة" ليست من وضعه، بل كانت تسمية من لغويين خارج الج ازئر، وقد وصفت بالحديثة "لأنها تمثل اجتهادا علميا تقويميا صدر في زماننا أدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه خاصة وجميع من جاء بعدهما من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه إلى غاية القرن الرابع كشروح كتاب سيبويه وغيرها، أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها علماء العرب ؛ كالسهيلي وعبد القاهر الجرجاني والرضي الأستراباذي وغيرهم". ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية-، ص5.

النظرية العربية القديمة. فالبنوية تكتفي بالكشف عن عناصر اللغة وتحديد هويتها بصفاتها المميزة لها عن جميع العناصر الأخرى، فالإطار المنطقي الأساسي هو ههنا التحديد بالجنس والفصل وما ينجر عن ذلك من اشتمال شيء على شيء، وهذا لا يكتفي به النحاة العرب لأنهم يحملون الشيء على الشيء بجامع بينهما فيستنبطون البنية التي يشترك فيها عدد من الوحدات (كبناء أو مثال الكلمة)، ومثل البنية التركيبية: عامل + معمول أول± معمول ثاني± مخصص، فهي ناتجة عن حمل الأجناس المختلفة بعضها على بعض وكلها على هذه البنية العامة (وهي أعمّ وأكثرها تجريدا من فعل + فاعل أو مبتدأ+ خبر)"[1].

ظهرت النظرية الخليلية الحديثة أول مرة سنة 1797م، في أطروحة الدكتوراه التي سعى من خلالها الحاج صالح أن يثبت أصالة الفكر اللغوي العربي، وأن هناك فكرا لغويا عربيا يضاهي في علميته نظراءه في الغرب، وقد يتميز عنهم بحكم الفترة المتقدمة التي ظهر فيها، والتي انعدمت فيها الإمكانات التكنولوجية التي استعانت بها الدراسات اللسانية الحديثة، وقد جعل الحاج صالح منها وسيلة من أجل إحياء علم الخليل، وكيفية التعامل مع معطيات اللغة العربية ومقتضياتها [2].

أولا- المدرسة الخليلية الحديثة: الأسس والمفاهيم:

بُنيت المدرسة الخليلية على مجموعة من المفاهيم والمبادئ التي تكشف - من زاوية رؤيتها التأصيلية- عن أسبقية البحث اللساني عند العرب عمّا تشهده الساحة اللسانية اليوم، وقد أبانت مفاهيمها عن أن اللسانيات الحديثة ليست علما غربيا خالصا، فقد سبق العلماء العرب القدامى أقرانهم المعاصرين إلى وضع لسانيات عربية محضة[3].

لا عجب أن نرى هذا الاهتمام الكبير بفكر الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعد- بشهادة الكثير من علماء العربية- من " بَسط النحوَ ومَدّ أطنابَه وسبّب عِلَلَه وفَتَقَ معانية وأوضحَ الحِجاج فيه حتى بلغ أَقْصى حدودِه وانتهى إلى أبعدِ غاياته ثم لم يرضَ أن يؤلِّفَ فيه حرفا أو يَرْسُمَ منه رَسْماً نَزَاهَةً بنفسه وتَرَفُّعاً بقَدْرِه إذ كان قد تقدم إلى القول عليه والتأليف

---

[1] المرجع السابق، ص15.

[2] عبد الحليم معزوز، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمن الحاج صالح، ص224.

[3] المرجع السابق، ص112.

فيه فَكَرِهَ أن يكونَ لمن تقدمه تاليا وعلى نظَرِ مَن سَبَقهُ مُحْتَذِياً واكتفى في ذلك بما أَوْحَى إلى سيبويه من عِلْمِه ولقّنه من دقائقِ نَظره ونتائج فِكره ولطائفَ حكمته فحَمل سيبويه ذلك عنه وتقلده وألفّ فيه الكتاب الذي أعجَزَ من تقدّم قبلَه كما امتنع على مَنْ تأخّرَ بعده"[1]،وله تنسب أوليات كثيرة منها[2]:

- أول النحاة الذين راعوا الموضع أو المحل في الإعراب، إذ ليس فيما روي عن النحاة قبله ما يدل على أنهم تنبهوا إلى هذه المسألة.

- أول من فطن لفكرة التبويب التي تعد من دلائل العمل النحوي؛ فالخليل كان يذهب إلى أن «إن» الجازمة تجزم جواب الشرط، مثلما تجزم فعله، وكان يرى أنها أم الباب الخاص بأدوات الجزاء الجازمة، لأنها لا تحيد عن بابها.

-لعل الإلغاء والعمل لم يحظيا بإشارة قبل الخليل، وكان أول من لفت الأنظار إليهما، بل والى فكرة التعليق عن العمل هو الخليل نفسه.

المتتبع لجهود الحاج صالح يجد أنه تحدّث عن النظرية الخليلية في معظم مقالاته ومؤلفاته، وعكف على إثبات أصالة وعلمية ما قدمه الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ومن سار في نهجهما، وقد حاول الحاج صالح تطوير مفاهيم هذه النظرية خلال الفترة الزمنية الطويلة التي عرض فيها نظريته، فقد لاحظ محمد خاين أن الجهاز المفهومي لهذه النظرية قد طرأ عليه تعديل، ويظهر ذلك -حسبه- فيما كتبه الحاج صالح ، إذ وزع هذه المفاهيم وفق محاور تتلخص فيما يلي.[3]:

- الانفصال والابتداء كمنطلق.
- التفريع من الأصول عوض التحليل بالتقطيع:
- التفريع بالزيادة على الأصل.

---

[1] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى بـك وآخـرون، مكتبـة دار التراث، القاهرة، مج1، ص3، 2008، ص491.

[2] ينظر: صلاح الدين ملاوي، قراءات على هامش النظرية الخليلية (بحث في المقولة العاملية)، مجلة المخبر- وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ع1، 2009، ص125- 127.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية، ص .31.

- التمييز الصارم بين ما يرجع إلى اللفظ وحده وما يرجع إلى المعنى أو الإفادة.
- التفريع المتدرج وما يترتب على ذلك من خصائص.
- التدريج في الزيادة يحدد مواضع خاصة.

1- المصطلح والمفهوم:

أما المفاهيم الأساسية التي انبنت عليها هذه النظرية، فيمكن مناقشتها في النقاط الآتية، مع محاولة تبيان كيفية استغلالها والانتفاع بها في حقل الدراسات اللغوية الحديثة، وفق تصور الحاج صالح[1]:

أ- الاستقامة وما إليها:

ينطلق الحاج صالح في تحديد مفهوم الاستقامة مما ورد في كتاب سيبويه تحت عنوان" هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة"؛ والذي نصه: "فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدًا. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدًا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس[2]."

فالملاحظ على هذا التصنيف، أن الكلام مبني على أساس السلامة؛ فمن حيث اللفظ نجد: المستقيم والحسن والقبيح، ومن حيث المعنى نجد: المستقيم والمحال؛ "ومن ثم جاء التمييز بين اللفظ والمعنى. وأعني بذلك أن اللفظ إذا حدد أو فس رباللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي *sémantique* لا غير، أما إذا كان التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبارات للمعنى فهو تحليل لفظي معنوي *sémiologico-grammatical* والتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا[3]."

---

[1] ينظر: صلاح الدين ملاوي، قراءات على هامش النظرية الخليلية (بحث في المقولة العاملية)،

[2] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القـاهرة، ج1 25-3.22ط ص1 979،

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة –مفاهيمها الأساسية، ص .31

يسترسل الحاج صالح – كعادته- في شرح نصوص سيبويه، ويستخلص من ذلك أنـه –على إثـر الخليل- "ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (أي النظام العام الذي يميز لغة من لغـة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للنـاطقين (وهـذا معـنى الاستحسـان وهـو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم/ حسن."[1]، وبذلك يمكـن تفسـير نـص سـيبويه - إذا أضفنا له مفهومي القياس والاستعمال- كما يأتي- [2]:

مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال.

- مستقيم قبيح = سليم في القياس وغير سليم في الاستعمال.

- مستقيم محال = سليم في القياس والاستعمال غير سليم من حيث المعنى.

و"من هذا التحليل للسلامة اللفظية والمعنوية ندرك أن الاستعمال ينضـبط كلـه بضـوابط تنتمي إلى ميادين مختلفة. ففيما يخص الاستقامة اللفظية فهذا يمـس النحـو واللغـة، وبالتـالي ملكة المتكلم اللغوية. وفيما يخص سلامة المعنى في ذاته (دون اللفـظ)، فهـو المنطـق الطبـيعي، وهو ما يعقله مع غيره[3]."فهذا المفهوم يقودنا إلى تفسـير الأسـاس الذي ارتكـز عليـه النحـاة العرب في تحليل اللغة، والذي تراوح بين اعتبار اللفـظ وحـده فـكان منـه التحليـل النحـوي *analyse grammatical*، أو اعتبار المعنى ومنه ينتج التحليل الدلالي *analyse sémantique*

. ب- الانفراد وحّد اللفظة:

ويقصد من هذا المفهوم أن الانفصـال والابتـداء هـو منطلـق التحليـل، إذ "إن التحليـل المنطقي الحاسوبي للأنظمة اللغوية يستوجب أن تكون الصياغة واضحة غـير ضـمنية محـددة المبادئ لا يشوبها التعسف أو التقعيد[4]. " فكان بذلك "المنطلق عندهم كل ما ينفصـل ويبتـدأ وهي صفة الانفراد ويمكن أن يكون بذلك الأصل لأشياء أخرى تتفرع عليه، ولهذا فيجب

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص .399

[2] نفسه، ص .397

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنـون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2012م، ص .114

[4] شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والـربط العـاملي لنعـوم تشومسـكي، مجلـة حوليـات التراث، جامعة مستغانم، ع7، 2007، ص2.

أن ينطلق من أقل ما ينطق به مما ينفصل ويبتدأ (= ينفرد) وهـو الاسـم المظهـر بالعربيـة. وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته ولهـذا سـمى النحـاة الأولـون هذه النواة بالاسم المفرد و"ما بمنزلة الاسم المفـرد" وأطلـق عليهـا ابـن يعـيش والـرضي اسـم "اللفظة ."[1]

ههنا تتضح جليا خصوصية الفكر اللغوي عند النحاة القدامى، فقد كان ضبطهم للفظ من دون اعتبارات أو افتراضات؛ لأنهم ينطلقون من اللفظة أولاً، وهو مغاير تماما لما يلاحظ عند التوليديين ومن ينطلقون من الجملة في التحليل. وهنا يشير الحاج صالح إلى "أن هذا المنطلـق هو في نفس الوقت وحدة لفظيـة *unité sémiologique* ، لا يحـددها إلا مـا يرجـع فقـط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء ووحدة إفادية لأنها يمكـن أن تكـون جملـة مفيـدة (فقـد اكتشفت في الكلام الحقيقي) وعلى هذا فهي تحتل مكانا يتقاطع فيه اللفـظ مـع المعـنى أو البنية بالإفادة[2]."

من خلال هذا المفهوم ندرك أنّ حد اللفظة من خلال مبدأ الانفصال والابتـداء ومعرفـة أصل اللفظة وما يجري عليها من زيادات قبل الأصل وبعده؛ "فكل ما ينفصل ويبتدئ بـه هـو مفردة أو كلمة أي أصل تتولد عنه الفروع. ومـن هنـا، صـار مـن الضـروري أن يتخـذ مبـدأ الانفصال والابتداء معيارا أساسيا لتحديد أقل ما ينطق به أي الكلمة[3]." كمـا يتحـدد مفهـوم اللفظة انطلاقا من مدى قابليتها أن تتحمل هذه الزيادات أو عدم تحملها وما يمكن أن ينتج عن ذلك، فقد سمى النحاة العرب الأصل بالنواة، وهذه النواة يمكن أن تقبـل الزيـادة وبهـذا تكون متمكنة وقد لا تقبل هذه الزيادة فتكون غير متمكنة، وعلى هذا الأساس تـم تصـنيف الأسماء في اللغة العربية؛ ذلك بأن النحاة قد "سموا هذه القابلية "بالتمكن" ولاحظوا أيضا أن لهذا التمكن درجات فهناك اسم الجنس المتصرف وهو المتمكن الأمكـن ثـم الممنـوع مـن الصرف فهو المتمكن غير الأمكن ثم المبني فهو غير المتمكن ولا أمكن"[4].

---

[1] شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، ص2.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 391.

[3] شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعام تشومسكي، ص2.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، نفسه، ص 391.

ج- الموضع والعلامة العدمية:

وهذا المفهوم له علاقة بمفهوم الانفراد، فقد مر بنا أن اللفظة الأصل يمكن أن تقبل زيـادات إما قبلها أو بعدها وهذه الزيادات لها موضع خاص بها، فإذا أخذنا الاسم على سبيل المثـال نجـد أنه تلتصق به علامات تقع قبله كحرف الجر و"الـ" التعريف ونجد علامات أخرى تقـع بعـده كالتنوين والصفة والإضافة. فالموضع إذًا مفهـوم، أو لنقـل: محـل تجريـدي تقـع فيـه العنـاصر المرتبطة باللفظة الأصل. "وعلى هذا الأساس فإن المواضع التي تحتلهـا الكلـم هي خانـات تحـدد بالتحويلات التفريعية أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيـادة التدريجيـة، وهـذه الزيادة هي نفس التحويل (في هذا المستوى."[1] وفي المقابل، فإن خلو الموضع مـن العنـاصر الـتي يمكن زيادتها على اللفظة من اليمـين أو اليسـار يسـمى "الخلـو مـن العلامـة" عنـد النحـاة، ويصطلح عليها الحاج صالح بـ"العلامـة العدميـة " *expression zero* "، وهي الـتي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر وذلك كجميع العلامات الـتي تمـيز الفـروع عـن أصولها (المفرد والمذكر والمكـبر لهـا علامـات غـير ظـاهرة بالنسـبة للجمـع والمثـنى والمؤنـث والمصغر)، وكذلك هـو الأمـر بالنسـبة للعامـل فـإن العامـل الذي لـيس له لفـظ ظـاهر هـو الابتداء"[2]. وهنا يشير الحاج صالح أن اللسانيات الحديثة قـد عرفـت هـذا المفهـوم لكنهـا لـم تستغله الاستغلال الكافي والمناسب، فمقارنة بسـيطة بـين هـذا المفهـوم الخلـيلي ومـا قدمتـه المدارس اللسانية الغربية الحديثة، تبين أن النحو الخليلي أكثر دقة مـن التحليـل إلى المركبـات المباشرة الذي عول عليه البنويـون والوظيفيـون، بينمـا يقـترب منـه بعـض الشيء التحليـل التحويلي مع فارق أن التحليل الخليلي يتجه من الأصـول إلى الفـروع أمـا التحليـل التحـويلي باستعماله التشجير فإنه ينطلق من الفروع للوصول إلى الأصل؛ "فأهم فرقٍ، إذًا، يمـيز النظريـة الخليلية عن اللسانيات الغربية هو منهج تحديد الوحـدات إذ يسـلط الغربيـون البنويـون على الخطاب أداة التقطيع لاستخراج الوحدات. ويلجأ التوليديون إلى التحويل لأجل تدارك نقائص التحليل إلى المكونات المباشرة وتفسير الغموض الناجم عن بعض التراكيب كالتركيـب المبـني للمجهول. وأما النحاة العرب، فإنهم ينطلقون من هـذه التحـويلات لأجـل تحديـد الوحـدات

---

1 [1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية، ص 35.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 394.

حيث يحملون القطع القابلة للانفراد أي للابتداء والانفصـال بعضـها على بعـض، فتـنعكس التبعية، ويدرك التابع من المتبوع، وتنجلي المواضع التي تختص بها كل وحدة[1]."

د- مفهوم العامل:

لا يجد متصفح مختلف الإنتاجات العلمية للحاج صالح - من مقالات ومؤلفـات- كبـير عناء كي يلاحظ إعجابه بما قدمه النحاة العرب القدامى، خاصة الخليل بـن أحمـد الفراهيـدي وسيبويه ومن سار على نهجهما. فهو لا يتوانى عـن إثبـات علميـة الدراسـات اللغويـة العربيـة القديمة وسبقها اللسانيات الغربية في كثير من القضايا اللغوية التي عرفـت مـن خـلال هـذه المدارس الغربية، إذ يعتقد اعتقادا عميقا أن الخليل بن أحمد قد أصاب قصب السبق في الكثير من هذه القضايا، وهو يؤمن بوجود نظرية لغوية دقيقة عند العرب إن في أصـولها أو مفاهيمهـا، ولا يمكن اكتشاف ذلك إلا بفهم سليم ونظرة عميقة فيما قدمه هؤلاء العلماء، واذا تحققـت تلك القراءة الصحيحة للتراث العربي فإننـا نلمـس لا محالـة عبقريـة لا نظـير لهـا في تـاريخ الدراسات اللغوية. وهذا الأمر يجعل منه مدافعا عن جميع المقولات اللغوية العربيـة القديمـة، وحتى أكثرها إثارة للجدل بين اللغويين قديما وحديثا، ومنهـا نظريـة العامـل الـتي تعـد أكـثر القضايا اللغوية التي اختلف حولها دارسو النحو العربي خاصة في العصر الحـديث؛ فقـد "كـثر الحديث، قديما وحديثا، حول قضية العامل، وقامت حولها دراسات تناولت النظريـة وأسسـها وأصولها وقواعدها، ومشكلاتها وما خلفته من آثار، وموقف النحاة منها، قدماء ومحدثين.

أما القدماء فقد اقتنعوا بما صنعوا، ولم يخرج عليها إلا نحـوي أندلسي، هـو ابـن مضـاء القرطبي (572هـ) في كتابه "الرد على النحاة". وأمـا المحـدثون فقـد اصـطخب جـدلهم صـولها حولها، بين مؤيد لها، ومعارض أنكرها وتمرد عليها وحاول هدم أو وضع بديل جديد[2]."

ومن أوجه دفاع الحاج صالح عن نظرية العامل أنه جعلها من المفاهيم الأساسـية للنظريـة الخليلية الحديثة، ذلك أن العامل مفهوم مجرد مرتبط بالبنية التركيبية تربطه بها علاقة تبعيـة، إذ هو محرك العناصر المكونة للتركيب، فقد أشرنا سابقا عنـد التطـرق إلى الموضـع أن اللفظـة

---

[1] شفيقة العلوي، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنعوم تشومسكي، ص 9.

[2] عبد الحميد السيد، نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، مجلة جامعة دمشق، مج 19، ع 3+4، 2012، ص42.

يمكن أن تضاف إليها عناصر عن يمينها أو عن يسارها، وبذلك تتحدد اللفظة الأصل مقارنة مع الزوائد التي تلحق بها، وتشكل اللفظة الأصل مع العناصر التي تقترن بها يمينا ويسارا نموذجا تحويليا يتكون من أعمدة وسطور على حد تعبير الحاج صالح؛ ويمثل لها كالآتي:

Ø	زيدٌ	قائمٌ
إن	زيدًا	قائمٌ
كان	زيدٌ	قائمًا
حسبت	زيدًا	قائمًا
أعلمت عمرا	زيدًا	قائمًا
1	2	3

يتضح من الجدول أن التركيب الأصلي (زيد قائم)، والذي يعرف بأنه خال من العناصر المضافة– وهو ما يجسده العلامة العدمية- قد تلحق به عناصر وهي مفردة (إن، كان) أو حتى تراكيب (حسبت، أعلمت عمرا)، وبذلك يحصل تغيير على التركيب من حيث اللفظ والمعنى؛ "ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة بل تركيبا وله تأثير على بقية التركيب ولذلك يسمى "عاملا". ثم لاحظوا أن العنصر الموجود في العمود الثاني لا يمكن بحال أن يقدم على عامله فهو عند سيبويه "المعمول الأول (م 1) ويكون إذن مع عامله "زوجا مرتبا *couple ordonné*، أما المعمول الثاني(م2 ¿) قد يتقدم على كل العناصر اللّٰهُمَّ إلا في حالة جمود العامل (مثل "إن"). وقد يخلو موضع العامل من العنصر الملفوظ (أشرنا إليه بـ Ø(وهو الذي يسمونه بالابتداء (وهو عدم التبعية التركيبية وليس معناه بداية الجملة كما يعتقد بعضهم[1]."

2- مبادئ التعليل:

يجعل عبد الرحمن الحاج صالح للتعليل أصولا ثلاثة يعمل بها، وهي: الأصل في القياس، والأصل في الاستعمال، والأصل في الموضوع؛ ويمثل كل واحد من هذه الأصول الثلاثة منطلقا للتغيير العارض؛ فـ"الأصل في القياس مثال أن يرفع الفعل إذا وقع موقع الاسم مع أن "هلا" لا تعمل فهي منفصلة عن الفعل. فما الذي منع أن يدخل الاسم بعدها؟ منع من ذلك عارض في أصل الاستعمال وهو دخول معنى التحضيض على "هلا" وهو خاص بالفعل. وأما الأصل الموضوع ههنا فالاستفهام.

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة – مفاهيمها الأساسية، ص 39.

وعلى هذا فالأصل في الاستعمال هو ما اطرد واستمر والأصل في القياس هو يقتضيه القياس والأصل في الموضوع هو ما جاء في وضع اللغة وقد لا يتحقق ذلك لعارض حصل في الاستعمال وهو العلة ههنا[1]."

أنواع العلل ومبادئها:

يبني الحاج صالح أنواع العلل على علة التغيير والتي يرى أنها "تكون في الأكثر عاملا خارجيا عن نظام اللغة فمنها ما هو راجع إلى كلفة في التلفظ والأداء ببعض التراكيب فيميل المتكلم إلى أن يغير منها هذا الذي هو مكلف وذلك مثل توالي بعض الحركات كالكسر المتبوع بضم والعكس وتتابع أكثر من ثلاث حركات في الكلمة الواحدة وغير ذلك[2]. "، ومن ذلك فالعلل تتفرع عنده إلى ما يلي:

1. علة التخفيف كأهم سبب للتغيير؛ وتتفرع بدورها إلى [3]:

- مستويات التغيير من حيث العفوية وعدمها - اطراد العلة وصيرورة محصولها قياسا.
- ما الذي يكون أخف أو أثقل في القبل النحوية.

2. كثرة الاستعمال كمبدأ للتفسير ومنها التسيير 3- مبدأ الفرق وأمن اللبس.

4- طرد الباب" وهو ظاهرة التسوية بين الكلم المختلفة الصيغة في الباب الواحد.

5. التوهم أو أغلاط الناطق في استعماله للغة وفي القياس خاصة.

إن هذه الملاحظات التي استنتجها الحاج صالح من خلال قراءاته لما قدمه الخليل وسيبويه، جعلته يؤيد فكرة العامل ويرى فيها نظرية قائمة بذاتها لها أسسها العقلية والإجرائية. ولعل الرافضين لها لم ينظروا إلى نموذجها الذي بينه الخليل وسيبويه من بعده، وإنما ركزوا على نحو المتأخرين من أمثال ابن مالك وابن هشام، فلم يتعاملوا مع النظرية الأصيلة كليا، بل استخرجوا عيوبها مما جاء به المتأخرون، والفرق بين بين تصور الخليل بن

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2012م، ص 241- 241.

[2] عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص .241

[3] ينظر: نفسه، ص ص .254 -241

أحمد وسيبويه وتصور النحاة المتأخرين، خاصـة نحـاة عصرـ الجمـود وان اتفقـوا في المصـطلح؛ "وذلك مثل الكلمة كما تصورها سيبويه وما يقصد ابن مالك منها"[1].

ثانيا- مكانة النظرية الخليلية في الدراسات اللسانية الحديثة:

يعتبر الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة امتدادا للنظريـة العربيـة القديمـة، أو نظريـة ثانية *métathéorie* على حد تعبيره؛ ذلك "لأنها في الوقت نفسه تنظير وبحث في الأسس النظرية الخليلية الأولى... وقراءة جديدة لهذا الت ارث واعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية ومقارنتها بمـا توصل إليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربيـة"[2]. أمـا عن المكانة التي يمكن أن تحتلها هذه النظرية في ل الدراسات اللسـانية الحديثـة، فإنـه يـؤمن بإمكانية استغلالها، وقد بدأ ذلك فعلا، ويرجع إيمانه هذا لسببين اثنين؛ "أولا لأننا نعتقد أنه لا توجد لغاية الآن نظرية أخرى استخرجت من النظـر في اللغـة العربيـة أو على الأقـل اعتـدت اعتدادا كبيرا بها وبأخواتها اللّهُمَّ إلا النظرية التوليدية التحويليـة الـتي تجـاوز فيهـا صـاحبها التقطيعية والتصنيف الساذج وقد استفاد أيما استفادة من النظر في اللغـة العبريـة على المنـوال الذي تنوولت به في القرون الوسطى. والسبب الثاني هو، من جهة، اختبارنـا لهـا عنـد صـوغها الصياغة الرياضية –وهي أطوع نظرية في اعتقادنا، لهذا النـوع مـن الصـياغة ومـن تشـكيلها بالشكل الخوارزمي *algorithmique* حتى يمكن استغلالها في الاكتشاف الآلي لصـيغ العربيـة الإفرادية والتركيبية"، [3] وهذا ما كان يقوم به مختبر الصوتيات الذي أنشـأه وأداره الحـاج صـالح بجامعة الجزائر، وكان يضم متخصصين مـن مجـالات عـدة عكفـوا على تطبيـق هـذه النظريـة باستعمال المناهج الحديثة وما توصل إليه العلم الحديث في مجال الوسـائل التقنيـة، وخاصـة مـا يسميه الحاج صالح نفسه الصوتيات الرتابية أو الحاسوبية والمعالجة الآلية للنصوص.

---

[1] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 39.

[2] بشير إبرير، أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، مجلة العلـوم الإنسـانية ، جامعـة محمـد خيضر، بسكرة ع9، فيفري2015، ص3.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص 399.